Geographical Mobility of Teaching Competencies in Tunisian Universities: Causes and Effects - A Field Study

Dr. Fatma Omri Ali[1]

Science Step Journal / SSJ
2025/Volume 3 - Issue 10
Doi: https://doi.org/10.5281/zenodo.17467310
To cite this article: Omri Ali, F. (2025). Geographical Mobility of Teaching Competencies in Tunisian Universities: Causes and Effects - A Field Study. Science Step Journal, 3(10). ISSN: 3009-500X.

Abstract

This study explores the growing migration of university professors from Tunisian universities and the impact this movement has on the country's higher education system. Through a combination of literature review, questionnaire-based research, and interviews with university professors, the study seeks to understand why so many teaching competencies are leaving and what this means for the future of Tunisian academia. The findings reveal that financial challenges—particularly low salaries and the resulting decline in purchasing power—are among the most pressing reasons driving professors abroad. Many feel unable to maintain a social and professional standing that reflects their academic qualifications and cultural capital. Beyond financial issues, a lack of academic freedom and limited research support have further discouraged professors, while host countries offer more supportive and resource-rich environments. Together, these factors have turned Tunisian universities into spaces that often push talent away rather than nurture it, raising serious questions about their ability to contribute meaningfully to sustainable development and national progress.

Keywords

The phenomenon of geographical scientific mobility, Tunisian public university, teaching competencies, higher education, sustainable development.

[1] Doctor and researcher in sociology, Faculty of Humanities and Social Sciences in Tunisia, University of Tunis, Tunisia.
- Member of the multidisciplinary research lab on transitions, transformations, and inheritance at the Faculty of Humanities and Social Sciences in Tunisia.
- Member of the Tunisian Sociological Association at the Faculty of Humanities and Social Sciences in Tunisia.
- Email: fatma2013omri@hotmail.fr

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

تنامي ظاهرة الحراك العلمي الجغرافي للكفاءات التدريسية صلب الجامعة التونسية: أسبابه وتأثيراته في واقع التعليم العالي (دراسة ميدانية)

د. فاطمة علي عُمري

ملخص

هدفت هذه الدّراسة إلى البحث في تنامي هجرة الأساتذة الجامعيين صلب الجامعة التّونسية وتأثيره في واقع التّعليم العالي. وقد إعتمدنا في تحليل هذه الظاهرة على المنهج الوصفي القائم على المسح النّظري للأدبيات ذات الصلة بإشكالية البحث وبفرضياته. كما إعتمدنا أيضا في إنجاز هذه الدّراسة على منهج المسح الميداني من خلال إعداد إستمارة بحثية تضمّنت مجموعة من الأسئلة موجّهة إلى الأساتذة الجامعيين تمحورت حول أسباب تنامي ظاهرة هجرة الكفاءات التّدريسية صلب الجامعة التّونسية. كما قمنا بمجموعة من المقابلات مع مجموعة من الأساتذة الجامعيين هدفت إلى تشخيص تأثير تنامي ظاهرة هجرة الأساتذة الجامعيين صلب الجامعة التّونسية في واقع التّعليم العالي وفي قدرة الجامعة على إنجاز التنمية المستدامة. تكمن أهمية هذه الدّراسة فيما توصلت إليه من نتائج أكّدت على أنّ أهم الأسباب الّتي أدت إلى تفاقم هجرة الأساتذة الجامعيين بإتجاه الخارج خلال السنوات القليلة الماضية تمثّلت بالأساس في تدنّي المستوى التأجيري للأستاذ الجامعي التّونسي، ممّا أسهم في تدهور المقدرة الشرائية لهذه الشريحة وعجزها بالتالي على بلوغ مكانة إجتماعية تضاهي ما تملكه من رأسمال علمي وثقافي. كما بيّنت نتائج هذه الدراسة عدم توفّر مناخ مناسب داخل الجامعة التّونسية محفّز على الإنتاج العلمي المثمر نتيجة غياب مؤشر الحرية الأكاديمية ومحدودية الدّعم المالي أو إنعدامه في بعض الأحيان للقيام بالبحوث والدّراسات العلمية، في مقابل ذلك تتحوّل هذه العوامل الطاردة للكفاءات التّدريسية صلب الجامعة التّونسية إلى عوامل جاذبة بدول الإستقبال. هذا ما جعل من الجامعة التّونسية تتحوّل إلى بيئة طاردة لكفاءاتها التّدريسية وعاجزة على أن تكون شريكا فاعلا في إنجاز التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية

ظاهرة الحراك العلمي الجغرافي، الجامعة التّونسية العمومية، الكفاءات التّدريسية، التّعليم العالي، التنمية المستدامة.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

المقدّمة

باتت ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية التّونسية تُنعت من قبل الباحثين بنزيف الأدمغة، وتسمّى أيضا بهجرة العقول. وهذه النعوت إنمّا تدلل في اِعتقادنا من ناحية أولى، على عمق هذه الظاهرة ومن ناحية ثانية، تكشف عن طبيعتها النوعية، إذ تمس بدرجة أولى أصحاب الكفاءات العليا في مختلف الحقول العلمية، نذكر منهم الأطباء والمهندسين ورجال القانون والأساتذة الجامعيين وعلماء الاِجتماع والخبراء وغيرهم من الاِختصاصات العلميّة الأخرى. غير أنّ هذه الظاهرة عرفت خلال السنوات القليلة الماضية توسعا كميّا ملحوظا، إذ بلغت 80% من النسبة الجملية للهجرة التّونسية باِتّجاه الخارج منها 24% (المعهد التّونسي للدراسات الاِستراتيجية، أكتوبر 2021)أستاذا جامعيّا وباحثا. وتكتسي هذه النسبة دلالة مهمّة في تحليل تأثيرات تنامي ظاهرة الحراك العلمي الجغرافي للكفاءات التّونسية في تراجع حجم الثروة الوطنية من الموارد البشرية التي ينتج عن فقدانها مزيد تعميق التّبعية في مختلف أشكالها تجاه الخارج، إضافة إلى تدهور الأوضاع الاِقتصادية والاِجتماعية. وسنحاول خلال المراحل الموالية من هذا العمل الكشف عن خصائص هذه الظاهرة، بما يمكّننا من فهم أسبابها واِنعكاساتها في واقع التنمية المستدامة.

اِشكالية البحث

يعتبر تشجيع الكفاءات العلمية الجامعية وتحفيزها بتوفير المناخ المناسب لها لضمان اِستقرارها بجامعاتها الأصل واِنصرافها إلى البحث العلمي المثمر اللّبنة الأولى لتعزيز قدرة الجامعة على تحقيق التنمية المستدامة. كما أنّ إصلاح السياسة التأجيرية في تونس يعدّ من العوامل الوازنة لقطع الطريق أمام الأساتذة الجامعيين للهجرة نحو الخارج، ذلك أنّ تحديد الأجور وفق الشهادات العلمية والتّدرّج الوظيفي والعلمي الخاص بأساتذة التّعليم العالي من شأنه أن يمكّن هذه الشريحة من مدخول مالي هام يساعدها على بناء هوّية اِجتماعيّة تضاهي ما تمتلكه من رأسمال علمي وثقافي، ويساعدها على القيام بالدراسات والبحوث العلمية والمشاركة في الندوات الدّولية وكذا الاِستقرار بجامعاتهم الأصل. في هذا السياق العلمي نطرح إشكالية بحثنا والمتمثلة في الطرح التّالي:

إلى أيّ مدى تمثّل الجامعة التّونسية بيئة حاضنة للأساتذة الجامعيين، أم إنّها على النّقيض من ذلك تمثّل بيئة طاردة لهذه الكفاءات باِتجاه الخارج؟

الفرضيات

تعدّ اِشكالية البحث أصلا للفرضيات الّتي تظلّ مرتبطة بالهدف الرئيسي للبحث وبتساؤلاته. واِستنادا إلى ما تقدّم اِفترضنا أنّ:

- الأساتذة الجامعيين يعيشون حالة إيجابية من التّرقي الاِجتماعي مثّلت أرضية صلبة لتطوّر الاِنتاج والبحث العلمي المثمر ولتعزيز اِنتماء الأساتذة الجامعيين إلى جامعاتهم الأصل.
- تفاقم ظاهرة هجرة الأساتذة الجامعيين خاصة نحو دول الخليج هو تعبير عن تشعّب أزمة الجامعة التّونسية.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

تمثيلية العيّنة القصدية

حاولنا في بنائنا للعيّنة القصدية لهذا البحث أن يكون التناسق جامعا بين مكوّناتها وبين الأهداف العلمية لهذا البحث، لذلك كان لزاما أن تتوفر في أفراد عيّنتنا الخصائص التّالية:

- تولّي مسؤوليات إدارية أو نقابية صلب الجامعة التّونسية.
- الإهتمام العلمي بمسألة التّعليم العالي والبحث العلمي وقدرتهما على إنجاز التنمية المستدامة.
- الإمتداد الزّمني للتجربة التّدريسية والبحثية.

هذه إذا مجموعة الإعتبارات الموضوعية الّتي إستندنا إليها في إختيارنا لأفراد عيّنة بحثنا معتمدين في ذلك الإتصال المباشر بهم بواسطة المقابلة الحرّة المباشرة. وتتكوّن هذه العيّنة من 12 أستاذا (ة) جامعيا يتنمون إلى مختلف مؤسّسات التّعليم العالي التّابعة لجامعة تونس.

تمثيلية العيّنة الكميّة

تمثّل العيّنة الكميّة الصنف الثّاني الّذي بحثنا في تقييمه لواقع الجامعة التّونسية ولقدرتها على إحتضان كفاءاتها وخبراتها العلمية، وذلك بإعتماد تقنية الإستبيان الّذي تضمّن مجموعة من الأسئلة بعضها مغلق وبعضها مفتوح، حدّدنا مضامينها ونوعيتها إنطلاقا من خصوصية موضوع الدّراسة وإشكاليتها وفرضياتها. وما دمنا قد إعتمدنا تقنية الإستبيان، فقد قمنا ببناء عيّنة عشوائية بسيطة على إعتبار وأنّها تعتبر الأكثر ملاءمة لموضوع هذا البحث. ويتطلّب هذا الصنف من العيّنة أن يختار الباحث العيّنة بمفرده وأن يحدّد حجمها وكذلك الإطار الّذي تأخذ منه وكذلك ضبط طريقة إختيارها. وإستنادا إلى هذه المقاييس فإنّ عيّنة بحثنا تتكوّن من مائتين وثلاثة وعشرون مبحوثا أي ما نسبته 20% من المجتمع الأصل والبالغ عدده الجملي 1117 أستاذا(ة) جامعيا منتمين إلى مختلف الأصناف المهنية، وموزّعين على مختلف مؤسّسات التّعليم العالي التّابعة إلى جامعة تونس، الّتي تمثّل مجال دراستنا. وقد حاولنا أن تتوفّر عيّنة بحثنا على الخصائص ذاتها الّتي وقعت ملاحظتها في المجتمع الأصل، ولذلك حرصنا أثناء العمل الميداني على إعتماد مجموعة من المتغيّرات الّتي يساعد توفّرها في إعتقادنا على بلوغ أهداف البحث. وتتمثل هذه المتغيّرات في:

- المستوى العلمي.
- الصنف المهني.
- الفئة العمرية.

ومردّ هذا الاختيار هو أهميّة هذه المتغيّرات في مساعدتنا على الوقوف على تمثلات أفراد العيّنة وتحديد مواقفهم حول دور الجامعة في إحتضان كفاءاتها التدريسية وتعزيز شعورهم بالإنتماء إلى مؤسساتهم الأصل دون التّفكير في الهجرة إلى الخارج بحثا عن بيئة جامعية

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

جديدة قادرة على أن توفر لهم المقوّمات الأساسية لإثبات ذواتهم مهنيا وإجتماعيا. ففي مستوى متغيّر الصنف المهني إنقسمت العيّنة إلى صنفين: صنف "أ" وصنف "ب".

جدول رقم1: توزّع أفراد العيّنة حسب الصنف المهني

الصنف المهني	العدد	النسبة %
صنف أ	82	77.36
صنف ب	141	23.63
المجموع	**223**	**00.100**

المصدر: استمارة البحث الميداني جويلية 2019.

أمّا المتغيّر الثاني المحّدد لهوّية عيّنة بحثنا، فيتمثّل في المستوى العلمي. وتوزّعت العيّنة حسب هذا المتغيّر على أربعة مستويات علمية: وهي أستاذ تعليم عالي وأستاذ محاضر وأستاذ مساعد قار وأستاذ مساعد متعاقد. وهو ما يعكسه الجدول التالي:

جدول رقم2: توزّع العيّنة حسب المستوى العلمي

المستوى العلمي	العدد	النسبة %
أستاذ تعليم عالي	50	42.22
أستاذ محاضر	30	45.13
أستاذ مساعد قار	98	95.43
أستاذ مساعد متعاقد	45	18.20
المجموع	**223**	**00.100**

المصدر: استمارة البحث الميداني جويلية 2019.

أمّا المتغيّر الثّالث المحدّد لهوية عيّنة بحثيا فيتمثّل في الفئة العمرية، وقد توزّعت العيّنة حسب هذا المتغيّر على ثمانية فئات. وهو ما يوضّحه الجدول الموالي:

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

جدول رقم 3: توزّع العيّنة حسب الفئة العمرية

الفئة العمرية	العدد	النسبة %
من 28 الى 33	16	17.7
من 33 إلى38	15	73.6
من 38 إلى 43	40	94.17
من 43 إلى 48	18	07.8
من 48 إلى 53	54	22.24
من 53 إلى 58	24	76.10
من 58 إلى 63	26	66.11
من 58 إلى 65	30	45.13
المجموع	**223**	**00.100**

المصدر: إستمارة البحث الميداني جويلية 2019.

أمّا بالنسبة إلى المؤسسات الجامعية التي توجّهنا إليها بالعمل الميداني، فقد اِرتأينا اِختيارها طبقا لطريقة العيّنة الشمولية. وقد حاولنا قدر الإمكان التّوجه إلى جميع المؤسسات التابعة إلى جامعة تونس بِاعتبارها تمثّل مجال الدّراسة، وذلك حتى نضمن قدر المستطاع توفّر جميع الخصائص والمتغيرات التي لاحظناها في المجتمع الأصل، في عيّنة بحثنا .

وفيما يلي عرض لمؤسسات التعليم العالي التابعة لمجال الدراسة والبالغ عددها 15 مؤسسة تعليمية موزّعة كالآتي:

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

جدول رقم4: قائمة الكليات والمعاهد والمدارس العليا التّابعة لجامعة تونس (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مكتب الداسات والتّخطيط والبرمجة، 2016-2017)

الكليات	المعاهد العليا	المدارس العليا
– كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس	– المعهد العالي للأعمال بتونس – المعهد العالي للتّصرّف بتونس – المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي ببئر الباي – المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات بزغوان - المعهد العالي للفن المسرحي – المعهد العالي للفنون الجميلة بتونس – المعهد العالي للموسيقى بتونس – المعهد العالي لمهن التراث بتونس – المعهد التحضيري للدراسات الأدبية والعلوم الانسانية بتونس – المعهد التحضيري للدراسات الهندسية بتونس – المعهد العالي – للدراسات التطبيقية في الانسانيات بتونس	– المدرسة العليا للعلوم الاقتصادية بتونس – المدرسة العليا للعلوم والتقنيات بتونس – دار المعلمين العليا

1. خصائص ظاهرة هجرة الأساتذة الجامعيين صلب الجامعة التونسية العمومية

تعاني الجامعة التّونسية العمومية خلال العشرية الثانية من الألف الثالثة، من تصاعد ملفت للإنتباه لنسق ظاهرة الحراك العلمي والجغرافي للأساتذة الجامعيين الّذين وجدوا في الهجرة نحو الخارج منفذا لمحاولة إثبات ذواتهم إجتماعيا ومهنيا، وتحقيق ما عجزوا على بلوغه في تونس، وذلك نتيجة لعدّة عوامل طاردة، ولتوفّر في مقابل ذلك أسباب جاذبة بدول الإستقبال.

ولئن كان لظاهرة الحراك العلمي والجغرافي للكفاءات الجامعية الأثر البالغ في إفراغ الجامعة التونسية من إطاراتها التدريسية إلى حدّ يمكننا وصفه بالتّفقير العلمي لهذا الحرم من موارده البشرية، " إذ تمثّل هجرة أساتذة التّعليم العالي ما لا يقلّ عن 1800 أستاذ جامعي غادروا تونس خلال الثلاث سنوات الأخيرة منهم 800 أستاذ على الأقل من الصنف "أ"." (المعهد التّونسي للدراسات الإستراتيجية، أكتوبر 2021) فإنّ عمق وإستفحال هذه الظاهرة، قد وصل إلى حدّ أصبحت فيه الجامعة مصدرا مولّدا لمعاناة الطلبة، خاصة في مرحلتيْ

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الماجستير والدكتوراه، بعد أن كانت خلال العشرية الأولى من اِنبعاثها مصعدا للتّرقي العلمي والاِجتماعي لمرتديها. فعلى سبيل المثال يعاني طلبة كلية العلوم الإنسانية والاِجتماعية بتونس في اِختصاص الإنجليزية من " نقص فادح في الأساتذة المؤطرين والذين تقلّص عددهم إلى 10 فقط لا غير." (المعهد التّونسي للدراسات الاِستراتيجية، أكتوبر 2021)

وإذا كانت ظاهرة الحراك العلمي الجغرافي عامة تمسّ جميع الرتب، فإنّنا نجدها تتفاقم بصفة خاصة في صفوف الأساتذة الجامعيين والباحثين من الصنف "أ"، وهو الصنف الّذي أوكلت إليه مهمّة تأطير طلبة الدكتوراه والماجستير، وكذلك مهمّة الإشراف على الوحدات والمخابر البحثية. وهو ما جعل من هذه الهياكل تعرف هي الأخرى نقصا في عدد الكفاءات التي تتولى تسييرها، إذ بلغ عدد الأساتذة المهاجرين من الصنف "أ" ثلث عددهم الجملي المتوفر بالجامعات التّونسية ،"وهو ما جعل من جامعات عديدة تعاني من غياب الأساتذة من ذوي الكفاءات العليا ومن الصنف "أ"." (المعهد التّونسي للدراسات الاِستراتيجية، أكتوبر 2021) وقد أدّى هذا الوضع إلى إضعاف قدرة الجامعة التّونسية على إنتاج المعرفة الفعّالة في تطوير البحث العلمي والإسهام في إنجاز التنمية، لتصبح الجامعة التّونسية بهذا الحال شأنها في ذلك شأن بقية دول العالم العربي " كمن يصرف أمواله ويدرّب موارده البشرية من أجل الآخرين." (جماعي، 2009)

وإن اِتّسمت ظاهرة الحراك العلمي الجغرافي للأساتذة الجامعيين، بتصاعد وتيرتها بما ينبئ بمزيد اِستفحال أزمة الجامعة التّونسيّة، خاصة في ظل تردّي الأوضاع الاِقتصادية الراهنة الّتي لعبت دورا بارزا في تغذية هاجس الهجرة في صفوف الأساتذة الجامعيين، حيث هناك "حوالي 80% من الأساتذة لديهم نية الهجرة والتدريس في دول أجنبية." (المعهد التّونسي للدراسات الاِستراتيجية، أكتوبر 2021) فإنّ هذه الظاهرة لها دوافعها تجعل من الفرد المقبل عليها يقرّر مغادرة وطنه باِتجاه بلد آخر يبحث فيه عن فرصة لبلوغ ما عجز على تحقيقه في بلده الأصل من إثبات للذّات وإشباع للرغبات وتحقيق للطموحات. ولا تبدو هذه العوامل الدافعة للهجرة واحدة عند كل المستجوبين، فهناك منهم من يبحث عن مناخ ملائم لتحقيق طموحاته العلميّة كتوفّر الحريّة الأكاديمية والبيئة العلمية المواتية التي تساعده على البحث والاِنتاج المثمر. في حين هناك شق آخر منهم يبحث عن دخل مادي يضمن له العيش الكريم، ويحفظ مكانته الاِجتماعية وكرامته الإنسانية. وتمثّل هذه النقاط مجموعة المحاور التي سنتناولها بالتّحليل والنّقاش ضمن المراحل اللاّحقة من هذا العمل، وفق ما يقتضيه التّمشي المنهجي والعلمي لهذا البحث.

2. دو افع هجرة الأساتذة الجامعيين صلب الجامعة التّونسيّة

إنّ المتمعّن في مسار تصاعد وتيرة هجرة الكفاءات العلميّة الجامعيّة التّونسية، يدرك أنّه مدفوع بمجموعة من العوامل يرتبط البعض منها بالوضع الاِقتصادي للبلاد وبالواقع المعيشي لأفرادها، وتسمّى؛ بالعوامل الطّاردة للكفاءات العلمية باِتجاه بلد الاِستقبال الّذي تتوفّر فيه في مقابل ذلك عوامل جذب. ذلك أنّه وراء كلّ عملية دفع باِتجاه الخارج مجموعة مسبّبات ترتبط بالشخص الذّي يتخذ قرار الهجرة، تقابلها عوامل جذب تمثّل الإطار الذي يحضن تطلّعات الفرد ويساندها.

وتمثّل الأزمة الاِقتصادية الّتي تعيشها تونس اليوم مؤشرا وازنا في اِعتقادنا، إذا ما أردنا فهم الإطار العام لتدني أجور الأساتذة

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الجامعيين، ولتراجع مكانتهم الإجتماعية، على إعتبار وأنّ هذه الأزمة، إنّما هي سليلة تبنّي النظام الرأسمالي الّذي ساد في بلدان العالم العربي ومن ضمنها تونس، والّذي إستتبعته ضرورة الخضوع إلى شروط الجهات المموّلة له " وطبيعي أن ندرك إنطلاقا ممّا سبق ذكره أنّ بلداننا العربية ككل ليس لها هوّية إقتصادية مشابهة للبلدان الغربية، عدى الخضوع لإملاءات الدوائر المالية العالمية وتطبيقها لشروطها سواء المتعلّق منها بالإصلاحات الهيكلية أو التأهيل وما يستتبع ذلك من... استغناء عن جانب هام من الموارد البشرية... وفضلا عن أنّ هذا يعتبر مؤشرا خطيرا للفشل الذّريع الذي تتخبّط فيه خطط التنمية العربية، فإنّه في حدّ ذاته يعكس الأزمة الإقتصادية الخانقة الّتي تعني عدم قدرة النّظم الإقتصادية العربية وعجزها عن تقديم المستويات التي تليق بالخبراء العرب... وأكثر الأمثلة وضوحا مستوى أساتذة المدارس والجامعات." (المرساني، 2009), ومثل هذا الواقع تؤكده أيضا النتائج المستقاة من العمل الميداني بشقيها الكمّي والكيفي، إذ إحتل مؤشر ضعف الراتب الشهري صدارة ترتيب أفراد العينة للعوامل الدّافعة بإتجاه الهجرة ،وذلك بنسبة 75.78% من مجموع المستجوبين (انظر الرسم البياني رقم 1).

رسم بياني رقم 1: تنوّع الأسباب الدافعة لهجرة الأساتذة الجامعيين باتجاه الخارج

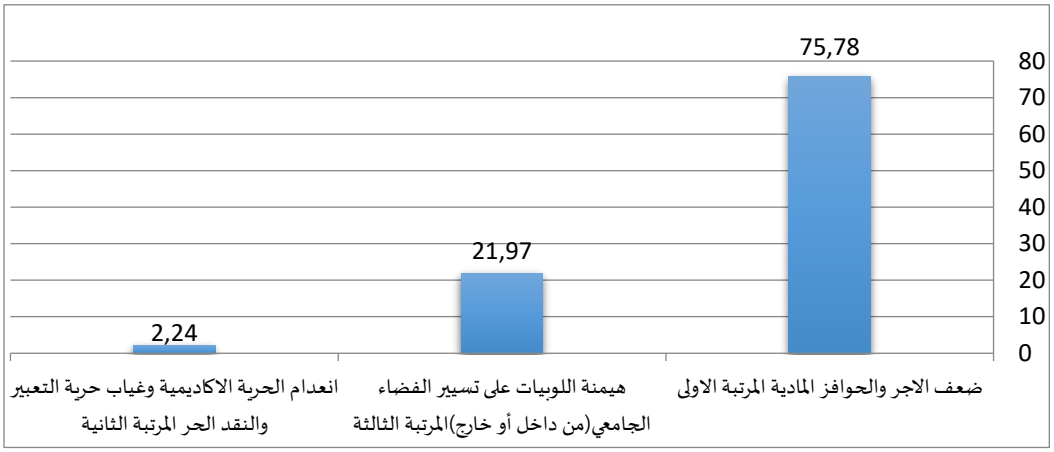

المصدر: استمارة البحث الميداني جويلية 2019.

ما يحصل عليه الأستاذ الجامعي التّونسي من أجر لا يمكن مقارنته بأية حال مع ما يحصل عليه الأستاذ الجامعي في البلدان المتقدّمة أو في البلدان الخليجية، أي أنّ المرتّب الشّهري للأستاذ الجامعي التّونسي غير قادر على منحه قدر من الإستقرار والإرتياح النفسي والإجتماعي، بما يساعد على توفّر الأسباب الكفيلة بتحقيق نجاحه العلمي والمهني. في هذا السياق أثبتت دراسة أصدرها المعهد التّونسي للدّراسات الإستراتيجية في أكتوبر 2019 والمعنونة بـ"هجرة الكفاءات والفاقد المهاري في تونس، المخاطر، الفرص، الإحتمالات أنّ هناك 80% من الأساتذة الجامعيين لديهم نية الهجرة للعمل في جامعات أجنبية، خاصة في ظل توفّر المغريات المادّية المشجعة على ذلك في الدّول المتقدّمة التي تولي أهمية كبيرة للجانب المادّي سواء لضمان إستقرار كفاءاتها أو لجلب الكفاءات العلمية الوافدة عليها. ففي هذه الدّول " تحدّد الأجور والرّواتب وفق مستويات مضبوطة تتلاءم مع المؤهلات والدّرجات والخبرات."((المرساني، 2009). ويسجّل هذا الإجراء غيّابه التام في سياسة سلطة الإشراف في تونس، عند تحديدها للأجور الخاصة بسلك الأساتذة الجامعيين، وهو ما دفع بإتحاد الأساتذة الجامعيين الباحثين "إجابة"

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

إلى تنفيذ إضراب بكامل مؤسسات التّعليم العاليّ، وكان ذلك يوم الثلاثاء 2 جانفي 2018 للمطالبة بتطبيق معايير الأجور وفق درجاتهم العلميّة. وِاستنادا إلى ما تقدّم يمكن أن نعتبر أنّ عدم الأخذ بالِاعتبار مؤشر الكفاءة والمؤهلات العلمية، سواء عند الِانتداب والِارتقاء أو في تحديد مستويات التّأجير قد مثّل السّبب الرئيسي في تفاقم ظاهرة الحراك العلميّ الجغرافي في صفوف الأساتذة الجامعيين، والّتي اِزدادت حدّتها في ظل الِارتفاع المتواصل للأسعار، ممّا تسبّب في اِنهيار المقدرة الشّرائية واِرتفاع تكاليف الحياة عموما " لعدم توفّر أجر يتماشى مع غلاء المعيشة." ((س- ب)أستاذة محاضرة، 2019). أمّا محاوري الأستاذ المنصف ونّاس، فقد أكّد أنّ "هناك سببان رئيسيان لتفاقم ظاهرة الحراك العلمي والجغرافي صلب الجامعات التّونسية وهما: السّبب الأوّل هو أنّ البيئة الجامعية صارت متوتّرة وغير حاضنة للتّدريس والبحث. أمّا السّبب الثاني فيتمثّل في غلاء المعيشة وتراجع المقدرة الشرائية لدى الجامعيين جراء محدودية الرّواتب، خاصة وأنّنا اِكتشفنا أنّ نسبة معقولة من الجامعيين لا تشتغل زوجاتهم ولذلك تنصب المسؤولية بكاملها على مرتّب الزّوج مع ضغوط الكراء والمدارس الخاصّة." (وناس، 2019) .

ما نستنتجه اِستنادا إلى ما تقدّم هو صعوبة الوضع الماديّ للأساتذة الجامعيين، ذلك أنّه علاوة على اِرتفاع تكاليف معيشهم اليوميّ، فإنّهم يحتاجون كذلك " إلى مصاريف أخرى، بينها المخصّصة للمشاركة في المنتديات والندوات العلمية والتي لا تقل تكلفتها عن 3 آلاف دينار، وأنّ راتب الأستاذ الجامعي في تونس هو تحت خط الفقر في دول مثل فرنسا ويقدّر بـ 630 أورو، فقط." (المعهد التّونسي للدراسات الإستراتيجية، أكتوبر 2021) . كل هذه العوامل قد لعبت دورا مهمّا في تقوية الرغبة لديهم في الهجرة بحثا عن مستوى عيش أفضل. إلاّ أنّ ذلك لا ينفي تأثير مجموعة أخرى من العوامل. فقد أثبتت المعطيات الكمية الماثلة أمامنا (بالرسم البياني رقم 1) أنّ اِنعدام الحرّية الأكاديمية وغيّاب حرّية التعبير والنّقد قد كان لها هي الأخرى نصيبا في جعل الجامعة التّونسية بيئة طاردة لكفاءاتها التّدريسية. وهذا ما يثبته الباحث محسن الخوني بقوله"... أنّنا نعمل في جامعة تمنع الحرّية الأكاديمية وهي تسلطيّة وهشّة وخاضعة لمركزية إدارية وهي ترزح تحت أثقال بيروقراطية مقيتة جرّدت أغلب الجامعيين من إراداتهم ومن روح المبادرة وجعلتها في مهبّ الأهواء الشخصية والتّحالفات المتغيّرة بِاستمرار لأنّها لا تقوم على تضحيات بالمنافع الضيّقة لصالح هدف اِستراتيجي وطني." (الخوني)

لقد أنتجت هذه العوامل مجتمعة صنوفا متنوّعة من الحرمان في صفوف الأساتذة الجامعيين، وأدّت إلى تحوّل الحقل الجامعي، إلى فضاء مكبّل للطاقات. كل هذا جعل من الهجرة في ذهن نسبة مهّمة من الأساتذة الجامعيين، خيارا ومنفذا لا يتخيّرون عنه سبيلا آخر لإثبات الذّات مهنيّا واِجتماعيا، وجلب التّقدير والِاحترام لها، خاصة في ضوء التشجيعات الّتي ترصدها الدّول المتقدمة، وكذلك دول الخليج لِاستجلاب الكفاءات والخبرات العلمية. " لقد شهدت الجامعات التّونسية نزيفا خطيرا خصوصا بعد الثورة تمثّل في هجرة المدرّسين الباحثين إلى دول الخليج تحت إغراء سخاء الأجور وهناك مقارنة بالدّاخل، هذا فضلا عن الذين فضّلوا الِاستقرار في البلدان الغربية المتقدّمة بعد أن ساهمت المجموعة الوطنية في تكوينهم فانفصلوا عنها دون أمل في رجعتهم أو التنسيق للِاستفادة من خبراتهم." (الخوني)

3. العوامل الجاذبة للأساتذة الجامعيين بدول الِاستقبال

ما نستهل به هذا العنصر من بحثنا، هو التأكيد على الأهمية البالغة التي يكتسيها توفر مؤشر الِاستقرار في مختلف أبعاده، وقدرته على تفجير الطاقة الإبداعية والإنتاجية الكامنة داخل الفرد. وهو ذات الرأي الذي يتبنّاه 82% من مجموع العيّنة الكميّة (انظر الرسم

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

البياني رقم2) الذين أكدّوا على أنّ توفرّ حوافز مالية مهمّة ورواتب مغرية ببلدان الإستقبال هو العامل الّذي يحتل الصدارة من حيث قدرته على إستمالة الأساتذة الجامعيين ودفعهم نحو الهجرة، وذلك لما يوفره من إرتياح وإستقرار ماديين. كما مثل توفّر عامل تثمين القدرات العلمية للباحثين بدول الإستقبال حافزا للأساتذة الجامعيين لإتخاذ قرار الهجرة، ففي هذا السّياق أقرّ 16% من مجموع المستجوبين أنّ هذا المؤشر يحتل المرتبة الثالثة، في حين يأتي مؤشر توفر الحرية الأكاديمية في المرتبة الثانية وذلك بنسبة 2% من مجموع العينة الكميّة.

بعد وقوفنا عند أهمّ عوامل الجذب للأساتذة الجامعيين بدول الإستقبال في مرحلة أولى، سنسعى في مرحلة ثانية إلى التّعرّف إلى أكثر الدّول إستقطابا للكفاءات التّدريسية الجامعية التّونسية. وقد بيّنت النتائج الميدانية أنّ الدّول الخليجية تمثّل قبلة السّواد الأعظم من الجامعيين التّونسيين، وذلك لقدرتها على توفير حوافز مالية مهّمة لإستجلاب الكفاءات العلمية، وخاصة منها تلك التي تسعى في المقام الأوّل إلى تحسين المستوى المعيشي وتحقيق التّرقي في السُّلم الإجتماعي وهوما يؤكّده السيّد (م – ح) بقوله " إنّ الهجرة إلى الخليج غايتها بالأساس تحسين الظروف المادية لما توفره هذه الدّول من أجور مغرية وحوافز مالية مهمة، تهدف من ورائها إلى ضمان إستقرار الأساتذة الجامعيين وغيرهم من الكفاءات العلمية الأخرى بها." (أستاذ تعليم عالي، 2019). وتتبوّأُ المملكة العربية السعودية صدارة الدّول المستقطبة للمتعاونين في مجال التّعليم العالي على إختلاف رتبهم وذلك بنسبة 81.05% من مجموع المتعاونين بمختلف الدّول لسنة 2018 (انظر الجدول رقم5). وتعكس هذه النّسبة قدرة هذا البلد على توفير مناخ مشجع على الإستقرار به، وما يعنيه ذلك من إشباع للرّغبات في تحقيق مستوى عيش رفيع وبلوغ مكانة إجتماعية راقية تتلاءم مع تتمتع به هذه الموارد البشرية من رأسمال علمي، ومعرفي بما يرفع من درجات الرضا والشعور بالإطمئنان لديها، ويحفزها على العمل والإنتاج البحثي والعلمي المثمر. كما تتصدّر المملكة العربية السعودية أيضا قائمة الدوّل المستقطبة للأساتذة الجامعيين على إختلاف رتبهم (انظر الجدول رقم5). في حين تأتي البلدان الأوروبية في المرتبة الثانية، من حيث إستقطابها للمتعاونين التّونسيين في مجال التّعليم العالي (انظر الجدول رقم5).

رسم بياني رقم 2: العوامل الجاذبة للأساتذة الجامعيين التونسيين بدول الإستقبال

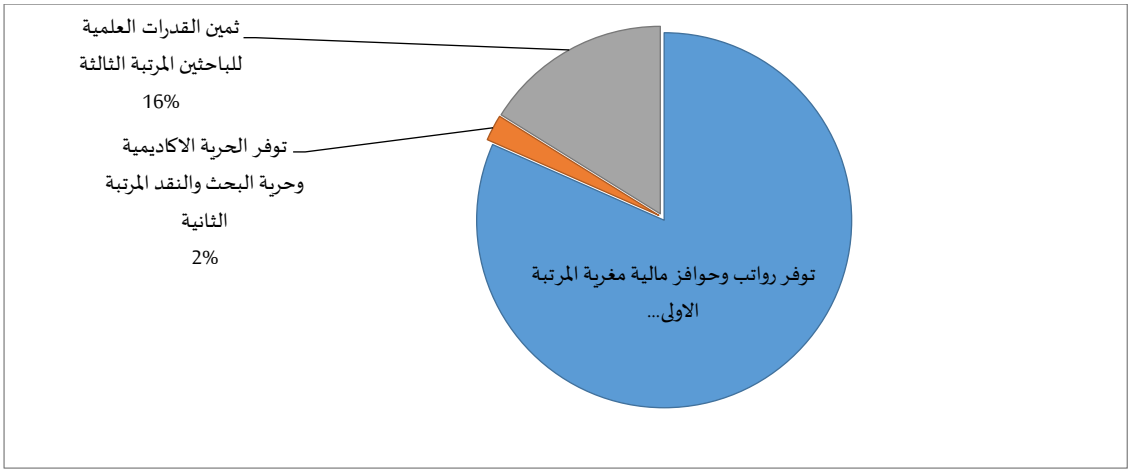

المصدر: إستمارة البحث الميداني جويلية 2019.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ويعضد توفّر الحوافز المالية والإمتيازات المادية بهذه البلدان، ترسيخها لثقافة تقوم على إحترام العلم وتبجيل العلماء، وتثمين القدرات البحثية للكفاءات العلمية، إضافة إلى توفّر حرية البحث، حيث " يعثر الباحث في أي حقل من حقول المعرفة على ضالته من إمكانيات وأدوات لازمة للبحث في البلد المهاجر إليه ممّا يحفّزه على البقاء والإستقرار يضاف إلى ذلك مناخ الحرّية العلمية السّائد هناك ممّا يشجعه على مزيد التّعمّق في البحث والتّوصّل إلى نتائج ما كان ليتوصّل إليها في بلده، كما أنّ توظيف بحثه علميّا في مشاريع فعلية أمر حاصل يعود عليه بالسّعادة النفسية التي تشعره بقيمته كباحث فينصرف إلى مزيد التّقصي والإبحار في المعرفة دون رقيب." (المرساني، 2009) وهو ذات الرأي الذي يتبنّاه شق من أفراد العينة الكمية، إذ يأتي توفر مبدأ الحرية الأكاديمية وحرية البحث والنقد في إعتقاد 2% من المستجوبين في المرتبة الثانية على أن يحتل مؤشر تثمين القدرات البحثية للباحثين المرتبة الثالثة وذلك بنسبة 16% (انظر الرسم رقم 2)، وهذا ما أثبتته أيضا نتائج المنهجية الكيفية، حيث أكدّ السيد (م – ح) " أنّ الهجرة إلى أوروبا وأمريكا علاوة على أنّها تساعد على تحسين الظروف المعيشية وعلى بلوغ مكانة إجتماعية مرموقة فإنّها تمكّن أيضا من تحسين ظروف البحث العلمي وتحقيق الإشعاع على المحيط." (أستاذ تعليم عالي، 2019).

جدول رقم 5: توزع المتعاونين في مجال التعليم العالي حسب البلد والرّتبة لسنة 2018

البلد	أستاذ تعليم عالي		أستاذ محاضر		أستاذ مساعد / تعليم عالي تكنولوجي		مساعد تكنولوجي		المجموع	
	العدد	النسبة%	العدد	النسبة%	العدد	النسبة%	العدد	النسبة%	العدد	النسبة%
المملكة العربية السعودية	94	4.14	189	14.89	1244	54.83	312	13.75	1839	81.05
دولة الامارات	13	0.57	13	1.02	37	1.63	13	0.57	76	3.35
دولة قطر	13	0.57	12	0.95	25	1.10	12	0.53	62	2.73
سلطنة عمان	6	0.26	11	0.87	30	1.32	6	0.26	53	2.34
بلدان أمريكية	8	0.35	8	0.63	55	2.42	7	0.31	78	3.44
بلدان أوروبية	12	0.53	12	0.95	128	5.64	9	0.40	161	7.10
المجموع	256	11.28	245	19.31	1519	66.95	359	15.82	2269	100

المصدر: المعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية، هجرة الكفاءات والفاقد المهاري في تونس، المخاطر، الفرص والإحتمالات، تونس، أكتوبر 2019، ص 77–78. (بتصرف شخصي).

ما نستنتجه إنطلاقا ممّا تقدّم، هو أنّ هذه العوامل الجاذبة للأساتذة الجامعيين بدول الإستقبال والمشجّعة لهم على الإستقرار بها، وإن تفاوتت من حيث درجة تأثيرها في إستقطابهم، فإنّها مثّلت مجتمعة قوّة فاعلة في إفراغ الجامعة التّونسية من إطاراتها التّدريسية. وهو ما يعني في إعتقادنا، مزيد تعميق درجة عزلتها عن المجتمع وبالتالي إضعاف قدرتها على تنميته. فقد أكّد محاوري الأستاذ حسين بوجرّة في هذا الصّدد " أنّ الجامعات التّونسية تعاني من نقص في إطاراتها التّدريسية، وخاصة منهم الصّنف الأوّل... إذ فضّل عدد كبير

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

منهم الهجرة والعمل بالخارج ضمن عقود مع جامعات خليجية أو عربية" (بوجرّة حسين، 2018)

ما أثبتته النّتائج الميدانية اِستنادا إلى ما تقدّم هو أنّ الجامعة التّونسية باتت تفتقر إلى أسبط المقوّمات المشجّعة للأساتذة الجامعيين على الاِستقرار بها، الأمر الذي جعل من الهجرة تبرز " كعامل المنقذ للعديد من أصحاب الكفاءات العلمية." (المرساني، 2009)

4. اِتجاهات أفراد العيّنة للحدّ من ظاهرة هجرة الكفاءات العلميّة صلب الجامعة التّونسية

باتت ظاهرة الحراك العلمي الجغرافي تمثّل خطرا في اِعتقادنا يهدّد الجامعة التّونسية على أكثر من صعيد، حيث نتج عن تصاعد وتيرة هجرة الكفاءات التّدريسية الجامعيّة، ضمور البحث العلمي الجامعي على مستوى الأطروحات الجامعية، وذلك بسبب نقص في عدد الأساتذة المؤطرين خاصة في مرحلتيْ الماجستير والدكتوراه، كما أنّ المخابر العلمية تعاني هي أيضا من نقص في عدد الكفاءات العلمية، ففي هذا السياق أكدّ المعهد التّونسي للدّراسات الاِستراتيجية في دراسة أصدرها في أكتوبر 2019، أنّ " هناك نقصا في الأساتذة من الصنف الأوّل والمخوّلين بتأطير الدكتوراه والماجستير فعددهم يتراوح بين 2300 و2400 أستاذ من حوالي 17 ألف أستاذ تعليم عالي... أنّ المبالغ المالية المعتمدة لتحفيز الأساتذة ضئيلة وأنّه لا وجود لأي حافز مادّي للبحث والتّقدم في الأطروحات." (المعهد التّونسي للدراسات الاِستراتيجية، أكتوبر 2021)

وفي محاولة للتّخفيف من حدّة تصاعد وتيرة ظاهرة الحراك العلمي والجغرافي صلب الجامعة التّونسية، أكّد الباحث عبد الرحمان المرساني وكذلك نتائج البحث الميداني على ضرورة توفير بيئة مشجّعة على اِستقرار الباحثين بجامعاتهم الأصل. وذلك من خلال وضع اِستراتيجية تهدف بالأساس إلى معالجة أسباب الدّفع بإتجاه الهجرة، تأتي في مقدّمتها الزّيادة في الراتب الشّهري. بما يمكّن الأستاذ الجامعي من الشعور بالتقدير، على اِعتبار وأنّ تحقيق الموازنة بين القيمة العلمية والدّخل يساعده على تلبية اِحتياجاته، وعلى المحافظة على مكانة اِجتماعية تتلاءم مع قيمته العلمية، فلا يشعر بذلك؛ بالنّقص إذا ما قارن وضعه بواقع نظرائه في بلدان أخرى. ولهذا اِعتبر الأستاذ عبد الرحمان المرساني، أنّ المحافظة على مواردنا البشرية في تونس من أساتذة جامعيين، وغيرهم من الخبرات العلمية في مختلف الاِختصاصات، تستوجب " التّوجه نحو معالجة أسباب الدّفع، لذلك فإنّه من الضروري تلبية الاِحتياجات كالزّيادة في الأجور وتوفير أسباب الاِستقرار المهني عبر الضمانات التّشريعية والاِعتراف بالمهارات والقدرات الشّخصية في السلم المهني." (المرساني، 2009) . وهو ذات التّوجّه الّذي تدافع عنه دراسة أصدرها المعهد التونسي للدّراسات الاِستراتيجية، في أكتوبر 2019، والّتي أوضحت أنّ أولى المسائل التي يجب العمل على إيجاد حل جذري لها، هي مسألة معادلة أجور أساتذة التّعليم العالي بأجور نظرائهم في المغرب العربي على سبيل المثال. وقد توصلت هذه الدراسة إلى أنّ مرتب الجامعي التّونسي هو الأضعف، على الرغم ممّا يتمتّع به هذا الأخير من خبرة، " كما أنّه ومن خلال المقارنة بين الأجور في تونس والأجور في الخليج وأمريكا وحتّى في المغرب والجزائر فإنّنا نجد أنّ الأجور في تونس هي الأضعف رغم ما يتمتّع به التّونسيون من كفاءات." (المرساني، 2009). أمّا المسألة الثانية الّتي مثلت محلّ إجماع في حدود اِطلاعنا بين كل الدّارسين وأثبتتها كذلك نتائج المنهجية الكيفية، من خلال تحليلنا لمضمون المقابلات التي أجريناها. فتتمثّل في ضرورة تهيئة المناخ الملائم لممارسة البحث العلمي الجاد، وذلك من خلال تجهيز المخابر وتوفير الدّعم المالي للأساتذة الباحثين. فمثل هذا الإجراء ينمي في تصوّرنا بداخل الأستاذ الباحث الرّغبة في البحث ويشعره بالرضا وتقدير الذّات من طرف الآخر، خاصّة إذا تمّ تفعيل بحوثه وإعطائها بعدا تطبيقيا من خلال ربطها

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

بالجانب الإنتاجي التنموي. وهي ذاتها المقترحات التي عبّر عنها أفراد العينة الكيفية. فقد إعتبروا أنّ تفعيل مثل هذه المقترحات سيمكّن من ناحية أولى من التّقليص تدريجيا من رغبة الأساتذة الجامعيين في التّوجّه نحو خيار الهجرة، ويشجّع من ناحية ثانية الكفاءات العلمية المستقرّة بالخارج على العودة إلى وطنهم والعمل بجامعاتهم الأصل. وهذا ما أكّده السيد (م – ح) أثناء محاورتنا له بقوله " إنّ ما يساعد على التّخفيف من تصاعد وتيرة ظاهرة الحراك العلمي الجغرافي صلب جامعاتنا هو العمل على توفير مناخ بحثي مشجّع على العمل وعلى تطوير وإستثمار القدرات البحثية والكفاءات العلمية للجامعيين، وذلك من خلال:

- تحسين ميزانية البحث العلمي،
- فتح مراكز بحوث في كل جامعة،
- تشجيع الجامعيين على التفرّغ للبحث،
- تفعيل إتفاقيات الشراكة البحثية مع المؤسسات البحثية الدّولية. (أستاذ تعليم عالي، 2019)

ما نستنتجه إستنادا إلى ما تقدّم، هو أنّ إستعادة الجامعة التّونسية للدّور الذي لعبته خلال العشرية الأولى لإنبعاثها بإعتبارها مصعدا لتحقيق التّرقي في السلم الإجتماعي لكافة مرتديها ونخص هنا بالذكر الأساتذة الجامعيين- بإعتبارهم يمثلون عينة بحثنا- هو أمر يرتبط بسيّاسة سلطة الإشراف، وبمدى وعيها بضرورة توفير المناخ الملائم الذي يمكّن الذّات الجامعية من الشعور بكينونتها الإجتماعية والعلمية البحثية على حدّ السواء، وذلك بتوفير كل الأسباب المساعدة لها على بلوغ قدر من الإشباع المادي وتحقيق مكانة إجتماعية تتلاءم مع ما تمتلكه من رأسمال علمي، فإذا ما توفر هذا الشرط، فإنّ هذه الكفاءات العلمية ستكون القاطرة التي تمرّ عبرها الجامعة من طور العزلة والإنغلاق إلى طور الشريك الفاعل في إحداث التنمية المستدامة. ومثل هذا الرأي يتبنّاه الباحث أحمد جدي" إنّنا نعتبر أنّ تطوّر وإشعاع الجامعة إنّما يكون قبل كل شيء من خلال تطوّر وإشعاع باحثيها." (Jday, 2009)إلاّ أنّ هذا التّحوّل يبقى مشروط بـ " إعتماد أساليب ترغيبية لإجتذاب الكفاءات المهاجرة عبر سياسة مدروسة تأخذ بعين الإعتبار كل جوانب الجذب في البلدان المتقدّمة وتحويلها إلى عوامل جذب معكوسة."[] (المرساني، 2009)

ما يمكننا تأكيده، من خلال تفحصنا لتشخيص أفراد العيّنة لواقع الجامعة التّونسية، وكذلك في حدود إطلاعنا على البحوث الّتي أنجزت في هذا الإطار، أنّ الأزمة التي يعيشها التّعليم العالي، إنّما هي ناتجة عن غياب رؤية واضحة لدور هذا القطاع في تنمية المجتمع والإستجابة لإحتياجاته في تحقيق الرّفاه الإجتماعي. وكان من إنعكاسات هذه الأزمة أنّها لم تؤدي إلى عزل الجامعة عن قضايا المجتمع فحسب، بل حوّلتها إلى بيئة طاردة لكفاءاتها العلمية بإتجاه الخارج. وهو ما نتج عنه تفقير الجامعة من مواردها البشرية. إلاّ أنّ ما تجدر الإشارة إليه في هذا الصّدد، هو أنّ أفراد عينة بحثنا لم يكتفوا بتشخيص الأزمة الجامعية والوقوف عند إنعكاساتها على مختلف البنى المجتمعية، بل إنهم قدّموا مجموعة من المقترحات، يهدفون من خلالها إلى تطوير قطاع التّعليم العالي. فقد أكّدوا على ضرورة أن يتبنّى القائمين على شؤون التّعليم العالي والبحث العلمي إستراتيجية يقترن فيها القول بالفعل، ويُثمّن من خلالها البحث والباحثون.

ما يمكننا الإقرار به في هذا المستوى من بحثنا، هو أنّ ما كشفت عنه نتائج الدّراسة الميدانية بشقيها الكمي والكيفي من تعدّد مصادر اللاّرضى والإنزعاج في صفوف الأساتذة الجامعيين، إنمّا يدلّل في إعتقادنا على دونية مكانة التّعليم في السياسة العامّة للدّولة، وإلاّ

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

كيف يمكن أن نفهم هذا الصّمت من قبل الجهات الرسمية تجاه تصاعد ظاهرة الحراك العلمي الجغرافي للأساتذة الجامعيين صلب الجامعات التّونسية والّتي بلغت ذروتها خلال الثلاث سنوات الأخيرة؟ " إذ تمثّل هجرة أساتذة التّعليم العالي ما لا يقلّ عن 1800 أستاذ جامعي غادروا تونس خلال السّنوات الثلاث الأخيرة منهم 800 أستاذ على الأقل من الصنف "أ"." (المعهد التّونسي للدراسات الإستراتيجية، أكتوبر 2021)

وقد نتج عن تصاعد وتيرة الحراك العلمي الجغرافي صلب الجامعات التّونسية، ما يمكن أن نصطلح عليه بظاهرة الهدر للموارد البشرية ذات الكفاءة العلمية العالية. إذ تحوّلت الجامعة التّونسية إلى بيئة طاردة لكفاءاتها العلمية، وعاجزة على إحتضانهم. وهنا يجد عجز الجامعة على تنمية المجتمع، تفسيره.

من هذا المنطلق، يمكن القول أنّ الحديث عن تنمية المجتمع التّونسي تنمية عادلة بين مختلف جهات البلاد، يبقى في تصوّرنا مسألة نسبية، بل بعيدة المنال، خاصّة في ظلّ ما يعيشه التّعليم العالي من تهميش. فجامعاتنا تعاني من "غيّاب الإستقلالية أو الإستقلالية المحدودة لأغلب المؤسسات إداريّا وماليّا وعلى مستوى إنتداب المدرّسين وأعوان التّسيير الإداري والصّيانة." (التيمومي)

ولهذه الأسباب يعتبر أفراد العيّنتين الكمية والكيفية أنّ إصلاح الشأن التّعليمي، يقتضي توفير مناخا بحثيا ملائما وذلك من خلال إيجاد الدعم المالي اللاّزم وتوفير التجهيزات الضرورية بالمخابر والوحدات العلمية داخل وخارج الجامعة وتحفيز الأساتذة الجامعيين والباحثين على التّفرغ للبحث العلمي، وتفعيل بحوثهم من خلال ربطها بالقطاعات الإقتصادية المنتجة.، وهو ما يمنحهم الشعور بقيمتهم كباحثين فترتفع لديهم الدافعية للإنتاج العلمي المثمر. ولعلّ توفّر مثل هذا المناخ المحفّز من شأنه أن يخفّف، من حدّة الأزمة التي تعيشها الجامعة التّونسية خاصة في الفترة الرّاهنة." ولعلّ أخطر ما عاشته الجامعة التّونسية خلال هذه الفترة المخيّبة للأمال هو تسارع نسق هجرة الأدمغة التّونسية إلى العالم الغربي وتزايد وتيرة بطالة الخرّجين الجامعيين بشكل مفزع." (التيمومي)

التوصيات

لقد مكّننا إنجازنا لهذا البحث من التّعرّف إلى أهم العوامل الّتي أسهمت في تشعّب أزمة الجامعة التّونسية. وهو ما ساعدنا على الخروج بمجموعة من التوصيات لعلنا نسهم من خلالها ولو بالقسط البسيط في معالجة أزمة الجامعة التّونسية:

- التّرفيع في قيمة الدّعم المالي الموجّه للتعليم العالي والبحث العلمي.
- تخصيص منحة مالية للأساتذة الجامعيين الباحثين في المخابر وفي الوحدات البحثية بما يعزّز شعورهم بالإنتماء إلى جامعتهم الأصل، ويمثّل حافزا لهم على البحث العلمي المثمر.
- منح الجامعة هامشا أكبر من الإستقلالية في مجال تعبئة مواردها المالية وفي تحديد مجالات البحث العلمي.
- إصلاح السياسة التأجيرية والترفيع من المستوى التأجيري للأساتذة الجامعيين بما يساعدهم على بناء هوّية إجتماعية تضاهي مكانتهم العلمية ويجنبهم مشقة البحث عن موارد مالية إضافية ويشجعهم على الإستقرار بجامعاتهم الأصل.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الخاتمة

كان لثبات السيّاسة التأجيرية في تونس وعدم إخضاعها لإصلاحات جذرية منذ عقود الأثر البالغ في تفاقم ظاهرة الحراك العلمي الجغرافي للأساتذة الجامعيين صلب الجامعة التّونسية بإتجاه الخارج. فعدم سنّ قوانين تشريعية في القطاع المالي تقضي بتحديد الأجور في الوظيفة العمومية وفق مستويات مضبوطة تتلاءم مع المؤهلات والشهائد العلمية في قطاع التعليم العالي العمومي نتج عنه تدني المستوى التأجيري لشريحة الأساتذة الجامعيين الّذي إزدادت حدّته نتيجة الإرتفاع المتواصل للأسعار ممّا تسبّب في عجز شبه كلّي للشريحة المدروسة على بناء هوّية إجتماعية تتوافق مع ما تمتلكه من رأسمال علمي وثقافي. وهذا ما جعل من خيار الهجرة أمام هذه الفئة منفذا للخروج من حالة العجز الّتي تعيشها. فهل سيدفع تنامي ظاهرة هجرة الأساتذة الجامعيين سلطة الإشراف ممثلة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي إلى البحث عن حلول عملية وجادّة للحدّ من نزيف الأدمغة الجامعية بآتجاه الخارج تحقيقا لهدف التنمية المستدامة؟

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

بيبليوغرافيا

قائمة المراجع والمصادر باللغة العربية

- (م- ح) أستاذ تعليم عالي بالمدرسة العليا للغلوم الإقتصادية والتجارية بتونس. (8 فيفري, 2019) مقتطف من مقابلة.. (فاطمة عُمري ، المحاور) تونس.
- حسين.بوجرّة أستاذ جامعي كاتب عام الجامعة التونسية لنقابة التعليم العالي (27 جويلية, 2018) مقتطف من مقابلة. مخبر الدراسات المغاربية بكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بتونس.. (فاطمة عُمري ، المحاور)
- المعهد التّونسي للدراسات الإستراتيجية. (أكتوبر 2021). *هجرة الكفاءات والفاقد المهاري في تونس المخاطر، الفرص ، الإحتمالات.*
- المنصف وناس أستاذ تعليم عالي ومدير مركز الدرسات الاقتصادية والاجتماعية بتونس. (11 ماي, 2019). مقتطف من مقابلة. (فاطمة عُمري، المحاور) تونس. مؤلف جماعي، *الجامعة والمجتمع في سياق الثورات العربية وضمن الإنسية الجديدة* (صفحة 71). طبع وإنجاز الشركة التّونسية للنشر وتنمية الفنون.
- (س- ب)أستاذة محاضرة.بالمعهد الثقافي والشبابي ببئر الباي. (24 ماي, 2019) مقتطف من مقابلة. (فاطمة عُمري، المحاور) تونس.
- عبد الرحمان المرساني. (2009). *الموارد البشرية في تونس، تحديات البناء وآفاق التطوير*. تونس: دار نقوش عربية.
- محسن الخوني. (بلا تاريخ). الجامعيون التّونسيون والدّفاع عن الحياة. مؤلف جماعي، *الجامعة والمجتمع في سياق الثورات العربية ضمن الإنسية الجديدة* (صفحة 82). الشركة التّونسية للنشر وتنمية فنون الرّسم.
- مؤلف جماعي. (2009). *عولمة التعليم العالي، الهوّية العربية وحتمية التّطوير، وقائع المؤتمر الحادي عشر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، دبي 5- 6نوفمبر 2007*. تونس: المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس.
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مكتب الداسات والتّخطيط والبرمجة. (2016- 2017). *التعليم العالي والبحث العلمي بالأرقام*. تونس.

قائمة المراجع الأجنبية

- Jday, A. (2009). pour un espace democratiqe à l'université tunisienne: Eléments d'analyse et de reflexion,. Dans *cinquantenaire de l'université tunisienne:témoignage de quelques doyens, la recherche scintifique et l'information- Tunis,TomeVII sous la direction prof . Emérite Abdeljlil Temimi* (pp. p- p 146- 147). Tunis: Publicatons de Fondation Temimi, pour la recherche scientifique et l'information- tunis.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved